الموقف القرآني من الإساءة للنبي محمد (ﷺ) في المرحلة المكية

أ.د. علي غانم جثير
جامعة البصرة – مركز دراسات البصرة والخليج العربي

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٦/٣/٢٩
تاريخ القبول: ٢٠٢٦/٤/٢٣

الملخص

إن قيمة التاريخ تكمن في استحضار دروسه في خدمة الحاضر، وموضوع الورقية البحثية يركز على دراسة المعالجة القرآنية للإساءة للنبي محمد (ﷺ) في المرحلة المكية، الذي لا يهدف منه فقط تسليط الضوء على الموضوع آنذاك فحسب، بل من المهم أن نستحضر مضامين المعالجة القرآنية ونستفيد منها في بلورة موقف علمي وعقلاني هادئ من الاساءة للنبي محمد (ﷺ) في بعض المؤسسات الغربية في العقدين الأخيرين مستخدمين وسائل مؤثرة جديدة مثل الرسوم الكاريكاتورية والأفلام السينمائية التي أخذوا ببثها عبر الصحف الورقية والرقمية في شبكة الأنترنت.

The Quranic stance on insulting the Prophet Muhammad (PBUH) during the Meccan period

Prof Dr. Ali Ghanim Jather
The Center of Basrah and Gulf Arabic of Studies

Abstract

The value of history lies in recalling its lessons to serve the present. The subject of this research paper focuses on studying the Qur'anic treatment of insults against the Prophet Muhammad in the Meccan period. It does not only aim to shed light on the subject at that time, but it is important to recall the contents of the Qur'anic treatment and benefit from them in formulating a calm, rational, and scientific position on insults against the Prophet Muhammad in some Western institutions in the last two decades, using new influential means such as cartoons and films that they have begun broadcasting through print and digital newspapers on the Internet.

المقدمة

كثرت في العقديّن الأخيريّن ظاهرة الإساءة للنبي محمد (ﷺ) من قبل بعض الدوائر الغربية، مستخدمين وسائل مؤثرة جديدة مثل الكاريكاتور والأفلام التي أخذوا ببثها عبر الصحف الورقية والرقمية في شبكة الأنترنت، لذا أجد نفسي في محل دراسة هذه الظاهرة وتفكيكها في الوقت الراهن مسلطا الضوء بشكل خاص على أهداف الظاهرة وما يراد من ورائها، وربطها بالماضي لأن الشخص المساء له يتجذر موقعه في التاريخ حاضرا وماضيا، كما سأقوم وبمنهجية تركيبية باستخدام الطريقة القرآنية في الرد آنذاك على المسيئين له من المشركين كدرس يبرهن لا على أهميته فحسب آنذاك، بل وعلى راهنية ونجاعة الموقف الذي ينبغي على المسلمين تبنيه اليوم إزاء مثل تلك الإساءات. وسنقوم بتوثيق الموضوع من الآيات القرآنية بالدرجة الأساس، ونأتي بالروايات التي تتوافق معها كتتمة.

الإساءة لغويا وقرآنيا

جاء في بعض المعاجم اللغوية أن السوء نقيض السرور والحسنى، ويعني الفجور، المنكر، القبيح، وهي الخطيئة والعورة والفاحشة والفرج، وكل عمل وأمر شائن، وهو اسم جامع للآفات والداء، وقد يكون تجاوزا بالقول أو الفعل [١].

أما قرآنيا فقد حملت الآيات نفس المعاني اللغوية تقريبا، فجاءت بمعنى القَبُحَ في آية الأنعام {...وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ {٣١}[٢]، وبمعنى المكروه في آية التوبة {...وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السَّوْءِ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ{٩٨}[٣]، والشر والضر عموما أو تدهور الوضع المادي خصوصا مثلما دل على ذلك في آية الأعراف {قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ {١٨٨}[٤]، والأذى كما جاء في آية الأعراف أيضا {هَذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ{٧٣}[٥].

ومما تقدم نخلص أن السوء هو اسم جامع لكل أمر يلحق ضررا بالآخرين أو يتجاوز عليهم بدون وجه حق، وقد يكون معنويا بالقول أو ماديا بالاعتداء الجسدي، وفي بحثنا هذا سنقصر الدائرة على الأفعال والأقوال التي حاولت تشويه صورة النبي (ﷺ) من قبل زعماء المشركين في المرحلة المكية.

اولاً: أساليب ووسائل المشركين للإساءة للنبي (ﷺ)

ما أن نقل النبي محمد الدعوة للإسلام من السر إلى العلن، وبدأت الآيات القرآنية تُركز على نقد التصورات الدينية للمشركين، حتى بدأ زعماؤهم بمهاجمة النبي (ﷺ) وأصحابه، وقد تنوعت اساليب الإساءة وصورها ضده وسنحاول تسليط الضوء عليها هنا:

أ- الاستهزاء بالنبي (ص) والسخرية منه:

لتوضيح هذا الموضوع أرى أن ندرس دلاليا بعض المفردات التي تشير لقيام المشركين بهذا الفعل وتوضح المقصود، وأولها مفردة (الاستهزاء) التي تأتي من الجذر اللغوي (هزأ)، وهزأ منه بمعنى سخر منه [٦]، وقد أشارت آيات قرآنية كثيرة لهذا الموضوع منها: {وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا {الفرقان:٤١} [٧]. كما ورد في روايات السيرة النبوية أن مشركي مكة كانوا يستهزئون به حتى من قبل أن يجاهر بالدعوة منتقدا ديانتهم عندما كان يمر أمام مجالسهم فيقولون "إن غلام بني عبد المطلب هذا ليكلم من السماء"[٨]. وكان الأسود بن عبد يغوث يقول له ساخرا "أما كُلِمت اليوم من السماء يا محمد"[٩]، بينما كان الإخوان منبه ونبيه ابنيّ الحجاج السهمي يقولان له "أما وجد الله من يبعثه غيرك؟ إن ها هنا من هو اسن منك وأيسر..."[١٠]، وقد وصل بهم الاستهزاء به حد الاستهتار واللعب، فعندما باع شخص غريب عن مكة لأبي جهل مجموعة من الإبل، ماطله الأخير ولم يدفع له سعرها فلجأ الرجل إلى نادي قريش وطلب من زعماء قريش المساعدة في استحصال المبلغ المطلوب، وكان النبي (ﷺ) جالسا في ناحية المسجد فقال بعضهم "وهم يستهزئون، أترى الرجل الجالس؟ أنطلق اليه يأخذ لك بحقك"، كما أخبروا أبا جهل عندما جاء "فوالله ما بعثنا الرجل إلى (□) محمد (ﷺ) الا هازئين"[١١].

وقد قدم البلاذري لنا أسماء ومعلومات مفصلة عن المستهزئين برسول الله ومعظمهم من زعماء قريش[١٢]، الذين زاد عددهم على العشرين، مما يرسم لنا حجم وقوة الهجمة التي واجهها النبي محمد (ﷺ) آنذاك، وبعضهم كانوا من أقرب الناس اليه كعمه أبا لهب، بينما كان البعض الآخر من جيرانه كالأسود بن المطلب بن الأسود والحكم بن ابي العاص [١٣].

أما الكلمة الأخرى التي ينبغي ان تكون محل بحث دلالي لاستكناه المعنى فهي (سخرية) التي جاءت من الجذر اللغوي (سخر) أي: هزء به وضحك منه [١٤]، والمعنى يشير إذن للضحك كوسيلة للتجاوز على شخص ما والحط من قدره والتقليل من قيمته، ووضعه في مكانة لا تليق به، وللكلمة معنى آخر له أهميته في الكشف عن هدف السخرية، فسَخَرته تعني قهرته وذللته، فكل "ما ذل وانقاد أو تهيأ لك على ما تريد، فقد سُخر لك" [١٥]، ومنه نستنتج أن السخرية هي محاولة النيل من المقابل وأذلاله، لأنه فعل يربط بين فاعل قاهر /قوي، ومفعول به ذليل/ضعيف، وعلى اساس ما تقدم يمكن القول إن زعماء المشركين كانوا يريدون أن يجبروا النبي محمد (ﷺ) على طاعتهم والخضوع لهم، فكانت السخرية وسيلتهم لتحقيق الهدف المذكور، وهي محاولة تحطيم المقابل من أجل تطويعه لرغبة الطرف القوى، ولها هدف آخر هو التقليل من تأثير نفوذ ما يدعو له على الآخرين من أجل الحد من انتشار الدعوة آنذاك.

وقد أشارت عدة آيات قرآنية إلى قيام المشركين ولاسيما زعمائهم بالسخرية من الرسول (ﷺ)، ومن الرسالة/ القرآن الكريم، ومن الأتباع/المؤمنين، فجاء في سورة الصافات {بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ{١٢}

وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ{١٣} وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ{الصافات١٤}[١٦]، وكان زعماؤهم يضحكون على النبي والمؤمنين {إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ{٢٩} وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ{ المطففين:٣٠}[١٧]، التي ذكر الطبري في معرض تفسيرها ما نصه: "وكان بعضهم يغمز بعضا بالمؤمن، استهزاء وسخرية" [١٨]، ومن المهم أن نشير بأن دراسة الآيات القرآنية تبين أن موضوع الاستهزاء والسخرية أمتد على طول العهد المكي، وهذا أمر طبيعي لأن زعماء المشركين/الملأ هم القوة المسيطرة وبيدهم زمام السيطرة والسلطة في مكة، بينما لم يكن النبي (ﷺ) والمسلمين سوى جماعة مضطهدة مغلوبة على أمرها آنذاك.

ب- التهم:

كان لزعماء المشركين محاولات عدة على طول العهد المكي لمهاجمة شخصية النبي (ﷺ) والإساءة اليه، عبر اتهامه بمجموعة من التُهم، التي يبدو أن هدفها الأساس الإساءة اليه وتكذيبه في محاولة منهم لنقض ادعائه النبوة، ولعل من أبرزها:

١. المجنون، فجاء في آية الحجر {وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ {الحجر٦} [١٩]، وقد ذكر البلاذري أن منبه ونبيه ابنا الحجاج السهمي كانا يقولان إذا ذكرا النبي (ﷺ) "مُعلَم مجنون، يعلمه أهل الكتاب ما يأتي به"[٢٠].

٢. الساحر: الذي ذُكر في عدة آيات قرآنية منها آية ص {وَعَجِبُوا أَن جَاءهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ {٤} [٢١].

٣. الشاعر: كما وصف المشركون النبي محمد (ﷺ) قائلين بأنه شاعر في بعض الآيات، مثلما ورد في آية الطور {أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ {٣٠} [٢٢].

٤. الكاهن: فضلا عما تقدم كان زعماء المشركين يطلقون على النبي محمد (ﷺ) صفة الكاهن، ويتضح ذلك من خلال النفي القرآني لهذه الصفة عنه في آية الطور {فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ {٢٩}، ويبدو أن الهدف من وراء تلك التهم هو نفي المصدر السماوي للوحي انسجاما مع اعتقاد العرب آنذاك بأن للكاهن والشاعر والساحر تابع من الجن، أي محاولة ترسيخ قناعة مغايرة بين المجتمع المكي بوجود تابع من الجن هو الذي يزود النبي محمد بما يقول، لاسيما أن الجذر اللغوي لكلمتيّ (مجنون) و(جن) هو واحد في المعاجم اللغوية، وقد توضح لنا ما تقدم ذكره من خلال دراسة حالة التلازم بين وجود كلمتيّ كاهن وشاعر في الرد القرآني على أقوال المشركين في آيات سورة الحاقة {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ {٤٠} وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ{٤١} وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ{٤٢} تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ {٤٣}، ومن خلال دراسة آيات الشعراء {وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ {٢١٠} وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ{٢١١} إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ {٢١٢} .

٥. الكذاب والمفتري: التي وردت في آيات قرآنية عديدة منها {بَلْ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ {الأنبياء٥} [٢٣].

٦. الأبتر: تعيير النبي (ﷺ) ووصفه بالأبتر أي الذي لا عقب له، أي لا نسل له بسبب وفاة أبنائه من الذكور، فقد قال العاص بن وائل السهمي "قد انقطع ولده، فهو أبتر"[٢٤]، وجاءت سورة الكوثر لترد على ذلك لاسيما في نص آيتها الثالثة {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ}.

وقد شغلت هذه التهم مساحة زمنية امتدت على طول العهد المكي، وقد تنوعت وتكررت في أكثر من سورة مما يدلل على أن المشركين لم يتوقفوا على قول واحد أو تهمة واحدة لتوصيف ظاهرة النبوة، ومن روايات السيرة النبوية التي انسجمت مع الطرح القرآني رواية تفيد بأن زعماء المشركين اجتمعوا في دار الندوة بطلب من الوليد بن المغيرة المخزومي كي يتدارسوا بينهم شأن النبي (ﷺ) وبماذا يفسرون ظاهرته امام الحجاج العرب الذين سيأتون لزيارة بيت الله الحرام، فقال بعضهم كاهن، فرد الوليد قائلا: "لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه"، فقال البعض الآخر: نقول مجنون، فرد عليهم أيضا: "ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته"، فقال بعضهم: فنقول شاعر، فرد عليهم: "ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر"، فاقترحوا عليه أن يقولوا أنه ساحر، فقال: "ما هو بساحر، لقد رأينا السحار وسحرهم، فما هو بنفثهم ولا عقدهم"، الا أنه منح التهمة الأخيرة الأفضلية على غيرها في أقناع الحُجاج العرب في تفسير ظاهرة النبوة، وأمرهم بأن يقولوا "جاء بقول هو سحر، يفرق به بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته" [٢٥]. وينسجم مضمون هذه الرواية مع الطرح القرآني المذكور أعلاه، مع ضرورة التأكيد على أن القرار المتخذ من زعماء المشركين بوصف النبي بالساحر هو تكتيك مؤقت لصرف انظار العرب عن ظاهرة النبوة بدلالة أنهم كانوا يتهمون النبي (ﷺ) ببقية التهم منذ اعلان الدعوة وحتى نهاية العهد المكي.

ج- إساءات أخرى:

وإتماما لهذا الموضوع نود أن نذكر بأن مواقف زعماء المشركين لم تقتصر على السخرية والاستهزاء من النبي محمد واتهامه بشتى التهم، بل كانت لهم مواقف أخرى عملية لم تخرج في هدفها عن الإساءة له والنيل منه، وسنحاول استعراضها فيما يأتي:

١. قيامهم بوضع القاذورات أمام باب داره من قبل عمه أبو لهب الذي كان "يطرح القذر والنتن على باب النبي"[٢٦]، وكان عقبة بن أبي معيط يقوم بنفس العمل، إذ "عمد إلى مكتل فجعل فيه عذرة ثم القاه على باب رسول الله"[٢٧]. وفي بعض الأحيان يشترك كلاهما في نفس العمل، ففي رواية منقولة عن النبي (ﷺ) أنه قال: إنهما "كانا ليأتيان بالفروث فيطرحانها على

بابي" [٢٨]. وكان النبي (ﷺ) يجأر بالشكوى منهما قائلا: "يا بني عبد مناف أي جوار هذا، ثم يرفع القاذورات عن بابه" [٢٩].

كما كان عقبة بن ابي معيط يقوم بأعمال تحاول النيل من النبي(ﷺ) والإساءة اليه كي يجعله في موضع سخرية أمام الآخرين، ومنها قيامه بتحريض من أبي جهل بألقاء فرث بين كتفيّ النبي وهو ساجد [٣٠]، وفي مناسبة أخرى قام بألقاء سلا شاة على رأسه وهو ساجد[٣١]، ويبدو أنه تمادى أكثر، فقد روى النبي(ﷺ) لبعض المسلمين بعد معركة بدر مباشرة أحد اعمال عقبة بن ابي معيط ضده قائلا: "أنه وطيء على عنقي وأنا ساجد، فما رفع حتى ظننت أن عينيّ قد سقطتا" [٣٢].

٢. رمي النبي (ﷺ) بالحجارة، فذكر ابن إسحاق في سيرته أن أبا لهب عم النبي (ﷺ) كان يلاحقه في سوق ذي المجاز ويرميه بالحجارة عندما كان يدعو الناس للدين الجديد [٣٣]، وقد رُمِيَّ النبي (ﷺ) بالحجارة في الطائف عندما أمر بعض زعمائها مجموعة من السفهاء "يرمونه بالحجارة حتى أن رجلي رسول الله لتدميان، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج في رأسه شجاج" [٣٤].

٣. إطلاق تسمية مذمم على النبي (ﷺ) كنقيض لصفة الحمد التي يحملها اسمه، فهذه أم جميل بنت حرب زوج أبا لهب كانت تقول: "مذمما أبينا، ودينه قلينا، وأمره عصينا" [٣٥]، وكان الحكم بن أبي العاص يشتمه ويكذبه[٣٦]، فضلا عن ذلك يبدو أن زعماء المشركين كانوا يُجبرون أصحاب النبي على شتمه تحت التعذيب، فقد اجبروا عمار بن ياسر على ذلك قائلين: "لا نفارقك ابدا حتى تشتم محمدا، وحتى تقول اللات والعزى خير من دين محمد" [٣٧]، وقد جرت بينه وبين النبي محاورة غاية في الأهمية ودرس لنا جميعا من الأهمية بمكان أن نتمعن في دلالاتها، وأن نستفيد منها في تبني مواقف مماثلة من ظاهرة الإساءة للنبي (ﷺ) اليوم بدلا من الاندفاع العاطفي الذي قد لا يأتي بنتائج ايجابية في معظم الحالات.

النبي: أفلح وجهك.

عمار: والله ما أفلح.

النبي: ولم؟

عمار: نلتُ منك، وزعمت أن اللات والعزى خير من دينك.

النبي: فكيف وجدت قلبك؟

عمار: وجدته مطمئنا بالإيمان، أشد من الحديد في ديني.

النبي: فلا عليك، وإن عادوا، فعد[٣٨].

إن هذه المحاورة تكشف عن بعد نظر النبي (ﷺ) حول قيمة الإساءة اليه، فهو يدرك تماما أن نظرة الآخر وهم زعماء المشركين آنذاك ستبقى تنال منه وتسيء اليه بحكم العداء السافر بينهما لعوامل

كثيرة، بينما يبقى الرهان لديه على الذات بمعنى الجماعة التي يقودها آنذاك وهم الصحابة (يماثلهم المسلمون اليوم)، ومن نافلة القول أن نتذكر اعتراض بعض الصحابة على أحد بنود صلح الحديبية القاضي بأن يرد النبي (ﷺ) أي قريشي يأتي إليه مسلما بدون إذن ولي أمره، بينما لا تفعل قريش الشيء نفسه مع من يرتد إليها من المسلمين، وهذا يعني أيضا بأن النبي(ﷺ) كان يُدرك بأن لا فائدة من التمسك بمسلم ضعيف الإيمان أولا، وهو في الوقت ذاته يكشف عن كبير ثقته بالصحابة الذين تحملوا في سبيل الدعوة شتى أنواع العذاب والمشاق، فالذات هي الأساس وهي ما ينبغي علينا أن نعمل عليه كجزء من فلسفة التربية.

الموقف القرآني:

لقد كانت لهذه الإساءات آثارها على نفسية النبي محمد (ﷺ) الذي كان يصاب بين الحين والآخر بحالة من الحزن والضيق التي شخصتها بعض الآيات القرآنية، لكن مع ملاحظة أن هذا الحزن والحرج ليس فقط من الإساءة له بالسخرية والاستهزاء، بل هو نتيجة أيضا لجحودهم وعدائهم ومحاربتهم له، رغم وجود حالة من التواشج بين الآيات التي وردت فيها الإساءات، وبين الآيات التي تشخص حزن النبي محمد وضيقه في السور نفسها، فقد جاء في آية يونس {وَلاَ يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ {٦٥}، التي تشخص حزن النبي (ﷺ) التي قد تنسجم مع الآية الثانية منها التي سجلت موقفا مسيئا للنبي (ﷺ) (... قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ (٢)، كذلك نجد في آية الأنعام {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ {٣٣}، التي لا يُستبعد أن الإساءة التي وجهها المشركون للنبي، التي اشارت لها آيتان من السورة نفسها (٥، ١٠)، دور في حزنه.

واللافت للنظر هو منهجية النبي (ﷺ) في التعاطي مع من يسيئون إليه، فرغم سخريتهم ومحاربتهم له ورغم الأذى النفسي والجسدي الذي الحقوه به، فأنه كان يحرص على هدايتهم، وعلى هذا المعنى نصت آية فاطر {...فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ {٨}، وآية الشعراء {لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ {٣} [٣٩].

وقد تجلى الموقف القرآني من المسيئين بالرد على إساءاتهم في مستويين:

أولا: على مستوى النبي (ﷺ)

وهو الشخص المساء له، ولكنه في الوقت ذاته حامل الرسالة والتائق لهدايتهم، وذلك بعدة وسائل، سنحاول استعراضها فيما يأتي:

١. تثبيت النبي (ﷺ): لقد تنوعت الوسائل القرآنية لتثبيت النبي (ﷺ) في مواجهة هجمات المشركين ومواقفهم العدائية نحوه، ولعل من أهمها:

أ/ الأوامر المباشرة التي تطلب منه أن يكون متمسكا بالصبر منذ فترة مبكرة من نزول الوحي، فالصبر هو السلاح النوعي الذي يمكن أن يستند اليه المناضل في سبيل المبدأ، لاسيما الذي لا يتيح له ظرفه الآني امكانية امتلاك زمام القوة، فورد في آية القلم {فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ {٤٨}، وآية المعارج {فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا {٥}، وآية الروم {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ {٦٠}[٤٠].

ب/ كما حملت عددا من الآيات القرآنية تأكيدا على أهمية ممارسة الطقوس العبادية كجزء من آلية رفع القدرة التحمّلية لمواجهة ضغوط المشركين من زاوية معنوية ونفسية، فجاء في آية ق {فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ {٣٩}، وأيضا في آية غافر {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ {٥٥} [٤١].

ت/ وقد استُخدمت قصص الأنبياء كوسيلة لتثبيت النبي (ﷺ)، أي من خلال اقامة حالة من التماثل بين جهود النبي (ﷺ) في تبليغ الدعوة ومواقف المشركين منها، وبين تجارب نبوية سابقة مع اقوامهم، بمعنى الاستعانة بالتاريخ للتأكيد على تكرارية هذه المواقف، فدائما ما يقف الزعماء المستبدون بوجه الحركات الإصلاحية لأنها تمثل ضربا لمصالحهم وسلطتهم المترسخة على مجتمعاتهم، الأمر الذي يلعب دورا كبيرا في زيادة اصرار النبي (ﷺ) على الاستمرار في الدعوة رغم اساءات المشركين له، لاسيما إذا كان الخطاب خطابا تشجيعيا، كذاك الذي حملته آية الأحقاف {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ...{٣٥}، أو آية ص {اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ {١٧} [٤٢]، كما بينت بعض الآيات أن السخرية والاستهزاء هو ديدن الأمم السابقة كجزء من آلية رفض الدعوات التي جاء بها الأنبياء، فورد في آية الحجر {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الأَوَّلِينَ {١٠} وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ {١١} [٤٣].

ت/ بث الأمل في نفس النبي (ﷺ) والمسلمين بآيات تؤكد على صيرورة الأحوال وتغيرها هو السمة السائدة على الواقع الحياتي، وأن من المحال ثبات الحال على ما هو عليه، ومن هذا المنطلق يمكن أن نفهم دلالة آيتيّ سورة الشرح {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا{٥} إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا{٦}، وضمن نفس المضمار يمكن أن تُقرأ قصة يوسف قراءة سيميائية تربط بين مضمون القصة والواقع آنذاك، فالسورة كلها عبارة عن رؤيا تستشرف المستقبل وتُبشر بانتصار الدعوة الجديدة، فهي إذن ترفع من الروح المعنوية للنبي (ﷺ) والمسلمين تجاه الضغط المسلط عليهم من قبل زعماء المشركين واتباعهم، ورسالتها ذات دلالة واضحة تطرح انتصار الدعوة مثلما انتصر يوسف على أخوته وكائديه، ومن هنا يمكن أن ندرك سبب نزولها لاسيما أنها القصة الوحيدة التي سردت بصورة متكاملة في سورة واحدة، وقد تضمنت محاور ثلاثة هي:

١/ المحنة الأولى التي تضمنت (مزايا يوسف– الحسد ومؤامرة الأخوة– الإنقاذ والتمكين الأول).

٢/المحنة الثانية التي تضمنت (البلوغ ومحنة الإغواء الجنسي– السجن – الإفراج والتمكين الثاني).
٣/ التمكين الفاعل والانتصار [٤٤].

وعموما فإن المتتبع لهذه الآيات المستشهد فيها في هذا المحور سيجد أن القاسم المشترك لها هو الصبر الذي يتلازم في بعض الآيات مع ممارسة الطقوس، وفي آيات أخرى مع قصص الأنبياء، وفي ثالثة مع بث الأمل، مما يؤكد على أهمية الصبر في مواجهة الضغوط النفسية وغير النفسية فهو الجسر الذي يربط بين الهدف وامكانية الوصول إليه.

٢. مواصلة الدعوة:

يمكن القول أن تعريف الناس بالدين الجديد يقوم على اساس الدعوة، لذا كانت لها الأولوية وتم التأكيد عليها في أول الآيات القرآنية نزولا، فلا دعوة بدون داعٍ، فهو العمود الفقري لإيصال الرسالة للمتلقين آنذاك، ومن هذا المنطلق أتأول فعل (أقرأ) في آيات العلق {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ {١} خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ{٢} اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ {٣}، على أن المقصود به (بَلِغْ)، فهي بمثابة خطاب يحمل تأكيدا للنبي (ﷺ) بأن يتلو الآيات على الناس باسم الرب، أي بسلطته، بمعنى إيصال رسالة تأكيد للمتلقين بأن السماء هي مصدر الآيات، وأنها ليست من تأليف محمد، ومن هذا الباب نفهم بعض الخطب اليوم التي تبتدأ بعبارة باسم الشعب أو باسم الأمة، أي بسلطة الشعب أو الأمة. ومن الواضح أن مضمون آية الإسراء {وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً {١٠٦}، أكثر وضوحا في التأكيد على ما ذكرنا، فالقراءة ليست للنبي (ﷺ) فقط، بل لغيره أيضا، وفي هذه الحالة فأنها تأخذ معنى التبليغ، وتكون القراءة بمثابة وسيلة للتبليغ، بدلالة أن آيات العلق نفسها تُليت على المسلمين، ففعل القراءة أصبح في هذه الحالة فعلا متعديا لذاته وللمتلقي الأول نفسه إلى غيره من المتلقين.

مجلة دراسات تاريخية Journal of Historical Studies

وبناءً على ما تقدم استمر التأكيد القرآني للنبي (ﷺ) بضرورة مواصلة الدعوة، ويمكن بهذا الخصوص أن نشير لبعض الأفعال التي تدلل على ضرورة التبليغ ومواصلته، ومنها (أصدع) في آية الحجر {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ {٩٤}. و(أتلُ) في عدد من الآيات نأخذ منها مثلا آية الكهف {وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا {٢٧} [٤٥]، و(أدعُ) في بعض الآيات كآية القصص {وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ {٨٧} [٤٦]. و(بلغ) في عدة آيات نظير آية النحل {فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ {٨٢} [٤٧].

وقد حددت مجموعة من الآيات التكتيكات التي في ضوئها يتحرك النبي (ﷺ) في دعوة الناس، وهي تراعي حالة الاحتقان والعداء السافر من قبل زعماء قريش للدعوة وصاحبها في المرحلة المكية، وتتعاطى أيضا بطريقة مرنة مع طبيعة الموقف وظروفه ونوعية المتلقين، وقد جاء في الحديث النبوي

"أمرنا معاشر الأنبياء أن نكلم الناس على قدر عقولهم" [٤٨]، فالتعامل مع زعماء المشركين يختلف قطعا عن التعامل مع بقية الناس، فلم يكن زعماء المشركين خصما سهلا، ولم يتقبلوا الدعوة الجديدة، بل كانوا يشككون في كثير من طروحاتها، محاولين مقارنة مضمون الآيات القرآنية بثقافتهم أو مقارنتها مع كتب أهل الكتاب وتسجيل اعتراضاتهم عليها، حتى أن أسئلتهم للنبي (ﷺ) تكشف عن عدم تلقيهم للوحي من زاوية تسليمية، بل تساؤلية تنبئ عن قدرة نقدية، وقد تجلت قدرة البعض منهم في محاولة تقليد القرآن الكريم ومحاكاته (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ...(الأنعام٩٣) [٤٩].

وعلى اساس ما تقدم جاء مضمون آية النحل {ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ{١٢٥}، والحكمة هي "العدل والعلم والحلم"[٥٠]، أما الوعظ فهو تليين القلوب بالثواب والعقاب[٥١]، بينما الجدل هو إحكام فتل الشيء[٥٢]، ويأتي هنا بمعنى "فتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج"، موظِفا "أحسن ما عندك من الحجج" [٥٣]، والمعنى الكلي لتفسير الآية بحسب الطبرسي هو "افتل المشركين واصرفهم عما هم عليه من الشرك، بالرفق والسكينة، ولين الجانب في النصيحة، ليكونوا أقرب إلى الإجابة" [٥٤]، وأن تصفح عن أذاهم لك الذي ينبغي أن لا يقف عقبة بوجه قيامك بالتبليغ [٥٥]، وهذا يعني أنْ لا يصل الجدال حد القطيعة التي لا رجعت فيها، فهو بحكم كونه رسولا مرسلا ينبغي عليه أن يبقى على اتصال في علاقاته مع الآخرين بغية اقناعهم برسالته، لاسيما أنه بحاجة إلى تبليغهم بمستجدات الوحي بين الحين والآخر، فالجدال يكون عادة الحاح في موضوعات متقاطعة بين الطرفين، وقد يؤدي إلى التشبث بالرأي الذي يقود للتعصب والانفعال، خاصة أن النبي (ﷺ) كان في حالة جدل مستمر معهم [٥٦]، لذا طلبت منه الآية المذكورة أن يراعي ذلك وأن يتحمل ويتجاوز عن اساءاتهم له، فورد في آية الأعراف {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ {١٩٩}، وفي آية فصلت {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ {٣٤} [٥٧]، فهناك من يجادل بدون معرفة، مثلما جاء في آية لقمان {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ {٢٠}، الأمر الذي يتطلب أن يراعي النبي (ﷺ) هذا النوع من المناقشين في أحيان كثيرة.

وفي نفس السياق نرى أن هناك قواعد متعددة للحوار مع الآخرين تتدرج بحسب اصناف الناس وطبيعة مواقفهم من الدعوة، ويمكن أن نأخذ مثالا على ذلك في آية المزمل {وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا {١٠}، وآية الحجر {... وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ {٨٥} [٥٨]، فهل هناك فرق بين الهجر الجميل والصفح الجميل؟ لغويا الصفح هو العفو [٥٩]، بينما الهجر هو الترك والابتعاد [٦٠]، فهناك فرق بينهما، ولكن سياقيا يبدو أن المعنى متقارب لاسيما مع اقتران

الكلمتين بكلمة (الجميل)، لذا نجد أن الطبرسي يقول إن معنى الهجر هنا هو "إظهار الموجدة عليهم من غير ترك الدعاء للحق على وجه المناصحة" [٦١]، أما الصفح الجميل فهو "العفو من غير عتاب" أو "العفو بغير تعنيف وتوبيخ" [٦٢]، وعليه يمكن أن نلمس اختلافا في الدرجة بينهما، إذ يمكن القول بأن الصفح الجميل أخف وطأةً من الهجر الجميل.

ولكن الخطاب القرآني قد يتصاعد احيانا ليطلب من النبي (ﷺ) أن يُعرِض عن المشركين أي أن يتمنع عن مخالطتهم ويهجرهم، مثلما ورد في سورة الأنعام { اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ {١٠٦} [٦٣]، ولكن يتبين من دراسة الآيات الخاصة بهذا المحور أن الاعراض والمنع يكون عن فئة محدد ذات مواصفات خاصة، وأعتقد هم أولئك الذين لا يجدي الكلام نفعا معهم، الموصوفون في الآيات القرآنية بأنهم صم بكم...الخ، بدلالة إن الآيات حددت مبررات الاعراض، فمثلا في المثال المذكور أعلاه نجد أن الآية التي سبقتها تحدد لنا بأن الفئة التي ينبغي على النبي أن يُعرض عنها هي التي تشكك بصدق النبي ونبوته، بينما آية (الأنعام ٦٨) فهي تدعوه أن يترك الذين يخوضون في آيات الله أي يكذبونها [٦٤]، أما آية (الحجر ٩٤) فأمرته بترك الجاهلين لعدم جدوى الحوار معهم، في حين أن سبب الاعراض في آية (السجدة ٣٠) هو لشكهم بالآخرة، وقد أمرته آية (النجم ٢٩) بأن يُعرض عن مخالطة مَنْ لم يُقر بالتوحيد ولا يريد سوى الحياة الدنيا.

وأخيرا هناك نوع آخر من الآيات يطلب من النبي (ﷺ) ألا يهادن زعماء المشركين ولا يطيعهم فيما يريدون، رغم كل الضغوط والإساءات التي لحقت به، ومنها آية الفرقان {فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا {٥٢}، وقد تبين أن السبب يعود لأنهم يريدونه أن يعترف بآلهتهم، أي أن يشرك بالله. وقد وجدنا الشيء نفسه عند دراسة هذا النوع من الآيات التي يتبين أنها تتعلق بزعماء المشركين مِمَنْ كانت لهم مواقف حادة من الدعوة، مثل أن ينهى أحدهم عبدا إذا صلى (العلق ١٩)، وقد وصفوا بالمكذبين وكل حلاف مهين في (القلم٨، ١٠)، ومن أغفلنا قلبه في آية (الكهف ٢٨)، وهم على ما يبدو ممن لا يرتجى منهم أن يغيروا من مواقفهم تجاه الدعوة، فضلا عن مطالبتهم للنبي(ص) بالشرك بالله الذي يتعارض مع التوحيد الذي يشكل العمود الفقري للدين الجديد.

ثانيا: في مستوى الرد على زعماء المشركين وأتباعهم

كان جزء من وظيفة الآيات القرآنية أنها عملت على الرد على اساءات المشركين للنبي (ﷺ)، التي يمكن عدها وسيلة هدفها حماية الدعوة ومبلغها من سطوة زعماء المشركين الذين يسيطرون على المجتمع المكي آنذاك، ويمكن أن نقسم محاور الرد إلى محورين:

أ/ على المستوى السلوكي والشخصي

لقد كان موضوع عدد كبير من الآيات القرآنية الرد على مواقفهم تجاه النبي(ص) أولا، ثم بيان سمات وصفات المشركين ولاسيما زعمائهم المستبدين الذين سخروا منه وأساءوا له، بمحاولة نقد

سلوكهم ونفي ادعاءاتهم، وذم عاداتهم وتقاليدهم، وفضح ممارساتهم ضد المسلمين كالفتنة ومنع الصلاة وغيرها.

١/ الرد على مواقفهم السلبية من النبي محمد:

لقد حملت مجموعة من الآيات تلويحا بالعقاب الدنيوي إن لم يكفَ زعماء المشركين ويرتدعوا عن السخرية والاستهزاء بالنبي، ويمكن أن نقرأ ذلك من خلال دراسة مضمون قصص الأنبياء والأمم السابقة ولاسيما توظيف بُعد أو ثيمة العقاب الدنيوي الذي أحلته العناية الإلهية بالمكذبين نظير كفرهم وإساءاتهم للأنبياء، ويمكن أن نضرب مثلا على ذلك بآية الأنعام {وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ {١٠} [٦٥].

كما فندت آيات أخرى التهم التي أتهم بها زعماء المشركين النبي (ﷺ)، فقد نفت بعض الآيات تهمة الجنون عنه، مثلما ورد في نص آية التكوير {وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ {٢٢} [٦٦]، بينما نُفيت معها تهمة الكهانة في آية الطور {فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ {٢٩} [٦٧]، أما اتهامه بالشعر فكان هناك أكثر من آية قرآنية ردت التهمة المذكورة ونفتها عنه، منها آية يس {وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ {٦٩} [٦٨]، علاوة على سورة الشعراء التي بينت الفرق الكلي بين النبي والشاعر في الغاية والوسيلة: (هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ (٢٢٣) وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦).

ومن الملاحظ في دراسة هذا المحور عدم العثور على آية قرآنية صريحة تنفي تهمة السحر عن النبي، ومع ذلك لنا في القصص مادة جيدة بهذا الخصوص، وبشكل خاص محور السحرة في قصة نبي الله موسى [٦٩] التي جاءت على ما يظهر لنفي تهمة السحر عن نبي الله موسى، من خلال التفريق بين سحر البشر الذي {...يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى {طه ٦٦}، وبين معجزة موسى التي لقفت سحرهم، فالقصص في جزء حيوي من وظيفتها، من منظور صميمية علاقتها بالواقع آنذاك، أنها حملت خطابا للمتلقين ينفي عن النبي محمد تُهم مماثلة صدرت عن زعماء المشركين والسحر منها.

فضلا عما تقدم حملت آيات عديدة تأكيدا على سماوية مصدر الوحي في عدة سور من أجل الرد على وسْم زعماء المشركين للنبي (ﷺ) بصفة المفتري والكذاب، ومنها آية النمل {وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ {٦} [٧٠].

٢/ بيان صفاتهم وفضح ممارساتهم:

كان من الطبيعي ان تشن الآيات القرآنية هجوما على زعماء المشركين، لا لأنهم الجهة التي تقوم بالإساءة للنبي (ﷺ) والاستهزاء به وتكذيبه فحسب، إنما لعدم اخلاقية المواقف التي يتخذونها ضد

النبي والمسلمين، فضلا عن أنهم أيضا العائق الذي يَحول بوجه انتشار الدعوة، فنصت آية سبأ على ذلك (قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنْ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنتُمْ مُجْرِمِينَ (٣٢)، لا لشيء إنما خدمة لمصالحهم وتأبيدا لسلطتهم على الناس آنذاك، فكان من الضروري أن تكشف الآيات القرآنية عن خصائصهم وصفاتهم، وأن تفضح ممارساتهم أمام العامة، لكي لا يبقوا مضلَلِين أولا، ومن أجل الحد من تأثير زعماء المشركين عليهم ثانيا، مما يساعد في التخفيف من حدة رفضهم للدعوة، وتؤسس لعملية تعبيد الطريق لمبادئ وقيم الدين الجديد إلى عقولهم تمهيدا لعملية كسبهم للإسلام، فهذا النوع من الآيات تحث أبناء المجتمع المكي آنذاك على التفكير بأن مواقف زعماء المشركين لست حبا بالناس وتعبير عن مصالح العامة، بل هو دفاع عن مصالحهم التي ستتضرر جراء انتشار الدعوة الجديدة.

لقد ركزت الآيات القرآنية على تصوير الصراع كصراع ذو بُعد اجتماعي، وأن معارضة زعماء المشركين ليس لأسباب عقائدية، مثلما يصورون الأمر للعامة، على أنه دفاع عن ديانتهم، بل هو في جوهره دفاع عن مصالحهم وامتيازاتهم، فالأغنياء كانوا مسرفين على انفسهم وملذاتهم، وبخلاء في الوقت نفسه على غيرهم ولا يقدمون المساعدة للفقراء، فكان هناك ربط واضح في الآيات القرآنية بين الترف والفساد في آية الإسراء (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً (١٦)، كما نجده في انتقاء كلمة (يَفْجُر) في توصيف زعماء المشركين في آية القيامة (بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥) التي حملت تنوعا دلاليا فقد عنت: المال الكثير، الكذب، العصيان والكفر [٧١]، فهذا التنوع الدلالي يتناغم مع صفات زعماء المشركين في الواقع، فقد كانوا من أصحاب رؤوس الأموال المترفين، وكانوا يقودون عملية معارضة الدعوة والوقوف بوجهها، فكانوا مُكذبين وكافرين بالنبوة، لذا كانت الآية موجهة لنقد زعماء المشركين الذين يمتلكون الصفات التي تستدعيها الكلمة، وقد نصت آيات كثيرة على ذلك من بينها (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (سبأ ٣٤)[٧٢], أما الترف لغويا فهو النعمة والمترف هو "المتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتها" [٧٣]، وقد نُعت زعماء المشركين في آيات كثيرة بكلمة المترفين (حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ (المؤمنون ٦٤) [٧٤]، أي إنهم كانوا مبذرين ومسرفين على أنفسهم، وقد ذُم التبذير والإسراف في بعض الآيات منها (إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً (الاسراء ٢٧) [٧٥]، لأنه لا يقوم إلا على حساب فئة أخرى فقيرة هي أولى بالمساعدة، لذا كان هناك حث للأثرياء على تزكية أموالهم بمساعدة الفقراء (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (الليل ٥) [٧٦].

ونجد في الآيات القرآنية مفردة (المستكبرين) ككلمة ذات ترميز مزدوج بحسب سياقها في الآيات، فتشير لتعاليهم عن توحيد الله وعدم تواضعهم له (إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (الصافات ٣٥) [٧٧]، من جهة، ومن جهة أخرى لغرورهم ونظرتهم الدونية للناس (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِي

الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ...(الأعراف ١٤٦) [٧٨]، بحكم مكانتهم الاجتماعية كأثرياء وزعماء لعقيدة الشرك آنذاك، حتى أنهم كانوا ينظرون نظرة دونية للمسلمين (وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ (الأنعام ٥٣)، ومن هنا نفهم الترميز القرآني الذي يطرح بشكل متكرر فرعون في قصة موسى كنوع من الاسقاط على زعماء المشركين في الواقع، فجاء في آية (المؤمنون) (إلى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ (٤٦) [٧٩]، كما وسمتهم آيات أخرى بالمجرمين (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (الأنعام ١٢٣) [٨٠].

- عقائديا

إن القرآن الكريم كخطاب هو كتاب يُبشر بعقيدة جديدة تحاول أن تُزيح العقيدة التي كانت سائدة آنذاك، ولتحقيق ذلك كان لابد من التركيز على نقد تلك العقيدة بطريقة عقلية تُلزم المقابل الحجة وتحرجه، كي تزحزح الأرضية التي يقف عليها، وكان من أبرز الموضوعات التي وجهت الآيات القرآنية لها نقدا هي:

أ- نفي سماوية عقيدتهم التي يتخذون منها مرجعية، ويستندون اليها في تقييم الأشياء والتصورات الأخرى، فجاء في آيات النجم (إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى (٢٣) أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّى (٢٤)... (وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنْ الْحَقِّ شَيْئًا (٢٨) [٨١]، ووسْم المشركين بالضلال (قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (الأنبياء ٥٤) [٨٢]، الأمر الذي يُرسل بإشارة واضحة إلى عدم سماوية ديانتهم المأخوذة من الكهان، فورد في آيتيّ القلم (أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (٣٧) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا يَتَخَيَّرُونَ (٣٨) [٨٣].

ب-نقد الشرك بالله وعبادة الأوثان، ففي كثير من الآيات المكية التي ركزت بصورة واضحة على هذا الموضوع، لأنه العمود الفقري الذي تقوم عليه الديانة الوثنية ببيان بطلان عبادتهم للملائكة وأنهم (..كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (سبأ ٤١)، ونفي اعتقادهم بأن لله نسبا مع الجن مثلما ورد في آيات الصافات (أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٥٢) أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ (١٥٣) ... وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٥٨)، (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ(الأنعام ١٠٠) [٨٤].

وقد تركز النقد القرآني لديانة العرب قبيل الإسلام على ذم عبادة الأوثان والأصنام، ليس حصرا على النقد المباشر بآيات واضحة وصريحة فحسب، بل نجد صداه عاليا في القصص القرآني في محور معاناة نبي الله موسى من عبادة بني إسرائيل للعجل [٨٥]، وفي حوارات نبي الله إبراهيم مع أبيه

وقومه التي تكرر ذكرها في أكثر من سورة، ويمكن أن نستشهد منها بما ورد في سورة الشعراء (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣)[٨٦] التي جاءت في مضمونها واحدة تقريبا حيث تركزت على عجز تلك الأصنام فهي لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع.

الخاتمة

ركزت الدراسة على عرض الإساءات التي لحقت بالنبي محمد (ﷺ) وآليات التصدي القرآني لها، التي ترتكز في معظمها على التعامل بحكمة وتعقل امام استفزازات المشركين واساءاتهم له، وهكذا أصبحت لدينا تجربة من الماضي يمكن أن تساعدنا في استيعاب الحاضر وفهمه، وتخبرنا الدراسة المقارنة بأن ما يُطرح اليوم من إساءات بحق النبي محمد (ﷺ) في بعض الدوائر الغربية، ليس جديدا رغم حداثة الوسائل المستخدمة في تسويق وترويج الإساءات مثل الرسوم الكاريكاتورية والأفلام، فقد طُرح من قبل المشركين وزعمائهم.

إن علينا ان نقرأ دوافع كل حدث وسبل معالجته وفقا لسياقه، وأن نستفيد من التشابه والاختلاف العام بينهما في الوقت نفسه، حتى يمكن لنا أن نعرف لماذا وكيف يتصرف الآخر في هذا الموضوع، مما يمنحنا القدرة على ايجاد الرد المناسب المبني على اسس التأني والتفكير العقلاني، فالإساءة للنبي (ﷺ) في عصر الرسالة هي وسيلة تقزيم وتحطيم من قبل زعماء المشركين لدوره الاجتماعي الفاعل والمؤثر في حرب القناعات وصراع المعاني، بينما هدف تلك الدوائر اليوم بتقديري أبعد من الإساءة للنبي (ﷺ) الذي نحت مكانته في التاريخ العالمي، لذا علينا أن نعيّ ما يراد من هذه الظاهرة، لأن أهدافها وتأثيراتها تتعدى المسلمين إلى هدف أبعد، ربما هو محاولة تجيّش الشارع الإسلامي ودفعه نحو مزيد من المواقف المتشنجة، كي يتم توظيفها في تقديم وتسويق صورة نمطية عن الإسلام كدين منتج للعنف على مستوى العالم عموما وفي الشارع الغربي خصوصا.

إن علينا أن نقرأ الظاهرة والمراد منها قراءة نقدية متأنية حتى لا تكون العاطفة هي المحرك لردود أفعالنا، وأن نتخذ من سيرة النبي (ﷺ) وطريقة تعامله مع المسيئين له كمنهج معتمد، خاصة أن آية الأحزاب ٢١، تنص على أنه (أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)، أي مثال يحتذى، لذا ما أحرانا اليوم أن نستحضر طريقة التعامل القرآني مع زعماء المشركين حتى نتعلم منها كيف نتعامل مع خصومنا، وكيف نعي ما يراد منا، فبقدر ما يحاولون تشويه صورة النبي (ﷺ) اليوم، علينا أن نتبنى بقوة أكبر الوسائل القرآنية في تعاملها مع أمثالهم في الماضي، فهناك وسائل أخرى للتعبير عن رفض هذه الظاهرة مثل تأليف الكتب والدراسات والبحوث التي تحلل مضامين هذه الظاهرة وترصد الابعاد الأيديولوجية التي تقف وراءها، فضلا عن إقامة المؤتمرات والندوات الحوارية التي تشرح وتنتقد هذه الظاهرة أمام الرأي العام العالمي.

الهوامش

[١] – ابن منظور، لسان العرب ١/ ٩٦–٩٩؛ الرازي، مختار الصحاح، ١٧٠.

[٢] – الطبري، جامع البيان، ٢٣٧/٧.

[٣] – الطبري، جامع البيان، ٧/١١.

[٤] – الطبري، جامع البيان، ١٩/٩؛ ينظر أيضا: هود٥٤ (الطبري، جامع البيان ٧٨/١٢)؛ النحل٥٩ (الطبري، جامع البيان ١٦٣/١٤)؛ المائدة١٠١ (الطبري، جامع البيان ١١١/٧).

[٥] – الطبري، جامع البيان ١٢٧/١٩.

[٦] – الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ٦٦؛ ابن منظور، لسان العرب، ١٨٣/١.

[٧] – الأنعام٥، الأنبياء ٣٦.

[٨] – الصنعاني، المصنف، ٣٢٥/٥؛ البلاذري انساب الاشراف ١١٥/١.

[٩] – البلاذري، انساب الأشراف، ١٣٢/١.

[١٠] – البلاذري، انساب الأشراف، ١٤٤/١.

[١١] – البلاذري، انساب الأشراف، ١٢٨/١، ١٢٩.

[١٢] – انساب الاشراف ١٢٤/١– ١٥٦.

[١٣] – انساب الاشراف ١٢٤.

[١٤] – ابن منظور، لسان العرب، ٣٥٢/٤.

[١٥] – ابن منظور، لسان العرب، ٣٥٤/٤.

[١٦] – ينظر ايضا: الزمر٥٦، المؤمنون١١٠، ص٦٣.

[١٧] – النجم٦٠، الزخرف٤٧.

[١٨] – الطبري، جامع البيان، ١٣٨/٣٠.

[١٩] – ينظر أيضا: القلم ٥١، القمر٩ (قصة نوح)، الشعراء٢٧ (قصة موسى)، الصافات٣٦، الدخان١٤، الذاريات٣٩ (قصة موسى)، سبأ٨، ٤٦، ٥٢؛ المؤمنون٢٥(قصة نوح)، ٧٠.

[٢٠] – انساب الاشراف، ١٤٤/١.

[٢١] – المدثر٢٤، القمر٢، الأعراف١٠٩ (قصة موسى)، الإسراء٤٧، يونس٢، هود٧، الصافات١٥، سبأ٤٣، الذاريات٣٩ (قصة موسى).

[٢٢] – ينظر أيضا: الصافات٣٦، الأنبياء٥.

[٢٣] – النجم٢، ص٤،٧–٨، هود١٣، ٣٥، الأنعام٢٥، سبأ٤٣،٨، غافر٣٧(موسى)، ٧٠، الشورى٢.

[٢٤] – ابن سعد الطبقات الكبرى، ١٣٣/١؛ الطبري، جامع البيان، ٤٢٦/٣٠.

[٢٥] – ابن هشام، السيرة النبوية، ١٧٤/١–١٧٥؛ البلاذري، أنساب الأشراف ١٣٣/١؛ الطبرسي، مجمع البيان، ١٧٨/١٠.

[٢٦] – البلاذري، انساب الاشراف، ١٣١/١.

[٢٧] – البلاذري، انساب الاشراف، ١/ ١٤٧؛ المكتل هو الزنبيل، والعذرة هي " أردأ ما يخرج من الطعام"، ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ٤٠٨، وربما تعني الفضلات المتروكة.

[٢٨] – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٢٠١/١؛ البلاذري، انساب الأشراف، ١٣٣/١؛ والفرث هو "السرجين في الكرش"، ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ١٧٤.

[٢٩] – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٢٠١/١؛ البلاذري، انساب الأشراف، ١٣٣/١.

[٣٠] – البلاذري، انساب الاشراف، ١/ ١٢٥.

[٣١] – البلاذري، انساب الاشراف، ١/ ١٤٨؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ٤٧٣/٢، وسلأ الشاة اي سمن الشاة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٩٥/١.

[٣٢] – البلاذري، انساب الاشراف، ١/ ١٤٨؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ٤٧٣/٢.

[٣٣] . سيرة ابن إسحاق ٢١٥.

[٣٤] . ابن سعد، الطبقات الكبرى ٢١٢/١؛ ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية٢٦٧/٢.

[٣٥] – ابن هشام، السيرة النبوية، ٢٣٨/١.

[٣٦] – البلاذري، انساب الأشراف، ١٥٣/١، ١٥٤.

[٣٧] – البلاذري، انساب الأشراف، ١٥٩/١.

[٣٨] – البلاذري، انساب الأشراف، ١٥٩/١–١٦٠.

[٣٩] – الانعام:٣٥، لقمان:٢٣، الكهف:٦، النحل:٣٧.

[٤٠] – ينظر أيضا: المدثر:٧، المزمل:١٠، غافر:٧٧، النحل:١٢٧.

[٤١] – ينظر أيضا: طه ١٣٠.

[٤٢] – هود:٤٩، الأنعام:٣٤.

[٤٣] – الانعام١٠، الانبياء٤١، ٩٥، يس٣٠، الزخرف٧، الكهف ١٠٦.

[٤٤] – للتفاصيل ينظر: علي غانم جثير، سورة يوسف صورة من صور الحرب النفسية في المرحلة المكية، مجلة أبحاث البصرة (العلوم الإنسانية)، مج ٣٧، ع١، س٢٠١٢، ١٢٩–١٤٩.

[٤٥] – ينظر أيضا: الكهف٨، العنكبوت٤٥، الاعراف١٧٥، يونس٧١، الشعراء٦٩.

[٤٦] – الشورى:١٥، النحل:١٢٥.

[٤٧] – النحل٣٥، العنكبوت١٨، يس١٧، الشورى٤٨،

[٤٨] – الطبرسي، مجمع البيان، ٢١١/٦.

[٤٩] . الأنعام١١٢، البقرة٧٩، الأنفال٣١؛ وعن تفسيرها ينظر: الطبري، جامع البيان، ٢٧٢/٧؛ الطبرسي، مجمع البيان ١١١/٤؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٤٠٠/٧.

[٥٠]– الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ١٠١١؛ الطبرسي، مجمع البيان، ٢١١/٦.

[٥١] – الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ٦٤٥؛ الطبرسي، مجمع البيان، ٢١١/٦.

[٥٢] – الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ٨٩٨.

[٥٣] – الطبرسي، مجمع البيان، ٢١١/٦.

[٥٤] – الطبرسي، مجمع البيان، ٢١١/٦.

[٥٥] – الطبري، جامع البيان، ٢٥٢/١٤.

[٥٦] – غافر٤–٥، ٣٥، ٥٦، ٦٩، العنكبوت٤٦، الاعراف٧١، الكهف٥٦، الانعام٢٥، ١٢١، الشورى٣٥، الزخرف٥٨.

[٥٧] – المؤمنون٩٦.

[٥٨] – الزخرف:٨٩.

[٥٩] – الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ٢٢٢.

[٦٠] – الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ٤٦٠.

[٦١] – مجمع البيان، ١٦٤/١٠.

[٦٢] – الطبرسي، مجمع البيان ١٢٩/٦.

[٦٣] – الطبرسي، مجمع البيان ١٣١/٤.

[٦٤] – الطبرسي، مجمع البيان ٨١/٤.

[٦٥] – الانعام٥، هود٨، الشعراء٦، النحل٣٤، غافر٨٣، الجاثية٣٣، الاحقاف٢٦، الروم١٠، الأنبياء٤١، الصافات١٤، الزمر٤٨، الكهف١٠٦.

[٦٦] – القلم ٢، الطور ٢٩، الأعراف١٨٤، سبأ٤٦.

[٦٧] – الحاقة ٤٢.

[٦٨] – الشعراء ٢٢٤–٢٢٦، الحاقة٤١.

[٦٩] – طه ٦٣، الشعراء٣٤، القصص٣٦، الإسراء١٠١، يونس ٧٦، غافر٢٤.

[٧٠] – يونس٣٨–٣٩، الشورى٣، ٥٢.

[٧١] لسان العرب ٤٨/٥.

[٧٢]. الاسراء ١٦، الأنعام ١٢٣؛ المؤمنون٣٣، الزخرف٢٣.

[٧٣]. لسان العرب١٧/٩؛ راجع: العين١١٤/٨.

[٧٤]. الواقعة٤٥، هود١١٦، الزخرف٢٣، الأنبياء١٣، المؤمنون٣٣.

[٧٥]. الأعراف ٣١، الإسراء ٢٨، الأنعام ١٤١.

[٧٦]. الليل١٨.

[٧٧]. المدثر٢٣، الأعراف٣٦، ٤٠، ٤٨، ١٣٣، ١٤٦، الفرقان٢١، يونس٧٥، الأنعام٩٣، غافر٢٧، ٣٥، ٦٠، الشورى ١٣، الجاثية٨، ٣١، الأحقاف١٠، النحل٢٢.٢٣، نوح٧، النساء١٧٢.١٧٣، المنافقون ٥.

[٧٨]. فاطر٤٣، الزمر ٥٩، الأحقاف٢٠.

[٧٩]. القصص٣٩، يونس ٧٥، المؤمنون٤٦، العنكبوت٣٩.

[٨٠] . فاطر١٠، ٤٣، النمل٥٠.٥١، يونس ٢١، يوسف١٠٢، الأنعام١٢٤، غافر ٤٥، النحل٢٦، ٤٥، نوح٢٢، الأنفال٣٠، آل عمران٥٤، الرعد٣٣، ٤٢.

[٨١] . ينظر أيضا: الأعراف٧١، يوسف٣٦، ٤٠، ٦٦، الأنعام١١٦، ١٤٨، الكهف٥.

[٨٢] . الشعراء٧٦، الصافات٧١، لقمان٢١، الزخرف٢٤.

[٨٣] . راجع: الأعراف٣٣، يونس٦٨، الأنعام ٨١، الصافات١٥٦، غافر٣٥، ٥٦، الطور ٣٨، الروم٣٥.

[٨٤] . راجع: الفرقان٢، مريم٨٨.٩٣، يونس٦٨، الإسراء٤٠، الصافات١٤٩، الزمر٤، الزخرف١٥.١٦، النحل٥٧، الكهف٤، الأنبياء٢٦، المؤمنون٩١.

[٨٥] . الأعراف١٥٢،١٤٨، طه٨٨، البقرة٩٢،٥٤،٥١.٩٣، النساء١٥٣.

مجلة دراسات تاريخية
Journal of Historical Studies

[٨٦] . مريم٤١.٥٠، الأنعام٧٤.٨٧، الصافات٨٣.١١٣، الزخرف٢٦.٢٨، العنكبوت١٦.٢٧.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي (ت١٥١هـ/٧٦٩م)، سيرة ابن إسحق، تحقيق محمد حميد الله، المغرب، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م)، صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، بيروت١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، الطبعة الثالثة.

البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، (ت٢٧٩هـ/٨٩٢ م)، انساب الاشراف، ج١، تح محمد حميد الله، القاهرة، ١٩٥٩ م.

الحاكم النيسابوري، محمد بن محمد (ت٤٠٥هـ/ ١٠١٤م)، المستدرك على الصحيحين، تح يوسف عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، ١٤٠٦.

ابن حنبل، احمد (ت٢٤١هـ/٨٥٥م)، مسند احمد، دار صادر، بيروت.

ابن سعد، محمد بن سعد البصري (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

الصنعاني، ابو بكر عبد الرزاق (ت٢١١هـ/٨٢٦م)، المصنف، تح حبيب الرحمن الاعظمي، نسخة المجلس العلمي.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، نسخة دار الفكر.

الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (ت٥٦٠هـ/١١٦٤م)، مجمع البيان في تفسير القرآن، بيروت، ١٤١٥هـ، الطبعة الأولى.

غانم، علي، سورة يوسف صورة من صور الحرب النفسية في المرحلة المكية، مجلة أبحاث البصرة (العلوم الإنسانية)، مج ٣٧، ع١، س ٢٠١٢.

الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (٨١٧هـ/١٤١٤)، القاموس المحيط، بيروت، دار احياء التراث، ٢٠٠٣، ط٢.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت٦٧١هـ/١٢٧٢م)، الجامع لأحكام القرآن، بيروت ١٩٨٥م دار إحياء التراث العربي.

ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ت٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، بيروت، د. ت، دار صادر، الطبعة الأولى.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد، بيروت، ١٣٩٦هـ الطبعة الأولى.

ابن هشام، أبو محمد عبد الملك الحميري (ت٢١٨هـ/٨٣٣م)، السيرة النبوية، تح محمد محي الدين عبد الحميد، مصر، ١٩٦٣.

مجلة دراسات تاريخية
Journal of Historical Studies